النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د.يوسف بن عبد العزيز بن عبد الله الشبل

قسم القرآن وعلومه ، كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،
الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤٢٩/٣/٧هـ ، وقبل للنشر في ١٤٢٩/٦/٣هـ)

الكلمات الافتتاحية:

ملخص الدراسة. بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، القصد من هذا البحث بيان حقيقة النور في لغة العرب، ثم استقصاء ورود لفظ النور في القرآن الكريم في مكيّه ومدنيه، معرفاً ومنكراً، حيث بلغ تسعة وأربعين موضعاً ، تناولته هذه الدراسة موضعاً موضعاً، تبين من خلالها أن لفظ النور في كتاب الله شمل النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر، والمعنوي وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة، كما أنه شمل النور الدنيوي والأخروي ،

وقد اقتضت هذه الدراسة تقسيم لفظ النور حسب وروده في القرآن الكريم إلى ستة فصول اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأنه اسم من أسماء الله الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه جاء إطلاقه على القرآن العظيم وغيره من الكتب المنزلة، وعلى النبي الكريم والدين القويم ، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله، واهتمام المفسرين بذلك، كما أظهرت هذه الدراسة ما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية، فمن تدبر كتاب الله، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، والله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، وفيضه يتدفق، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وأهل العلم يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون ما قد يخفى من ألفاظه ومعانيه ويظهرون أسراره الكامنة وكنوزه المغمورة.

والقرآن الكريم كثيرًا ما يورد ألفاظاً متفقة في لفظها مختلفة في معناها، حتى إن بعضها ليصل إلى معاني كثيرة.

ومن هذه الألفاظ لفظ النور الذي تعددت معانيه، فقد جاء في كتاب الله ﷻ في مواضع مختلفة وآيات عديدة بإطلاقات متعددة، فجاء لفظ النور على أنه اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه صفة من صفاته العليا، ووصف ﷻ به كتبه المنزلة، بل خص بهذا الوصف القرآن الكريم، ووصف به رسوله الكريم ﷺ، وسمى شرعه القويم بذلك، ولا ريب أن هذه أمور مختلفة جاءت بلفظ واحد وهو لفظ النور، مما قد يشكل أمره على الكثير، فكان هذا الأمر دافعاً قوياً حفزني على استقصاء وجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا الموضوع، ثم الوقوف معها، وكشف ما فيها من اللبس لتجليتها وتحليلها وبيان المراد منها، وكشف ما فيها من أسرار وهدايات.

وثمة أمر آخر وهو أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسته دراسة تفسيرية فأحببت أن أشارك في هذا المضمار وأغوص في أعماق هذا الكتاب المعجز، فاستعنت بالله تعالى على بحث هذا الموضوع بتقصّي مواطنه التي ورد فيها لفظ النور في كتاب الله وبيان معانيه وما ذكره المفسرون تجاهه، وهو عمل جليل متعلق بكتاب الله ﷻ أقدمه خدمة لهذا الكتاب العظيم، وإسهاماً في إبراز شيء من جوانبه وتجلية لأسراره وهداياته. هذا وقد جعلت البحث في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، وخطته والمنهج المتبع.

وأما التمهيد ففيه معنى النور في لغة العرب والمراد به اصطلاحاً.

ثم بعد ذلك المباحث الستة مرتبة على النحو التالي:

المبحث الأول: حقيقة النور الضياء والاستنارة.

المبحث الثاني: الله نور السموات والأرض.

المبحث الثالث: القرآن الكريم هو النور المبين.

المبحث الرابع: الرسول ﷺ نور يُهتدى به.

المبحث الخامس: دين الله هو النور المبين.

المبحث السادس: النور نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

ثم بعد ذلك الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد كان منهجي في دراسة هذا الموضوع على النحو التالي:

أولاً: أورد في كل مبحث آيات النور المتعلقة به، ثم أبين معناها ووجه الدلالة منها مع إبراز ما فيها من الأسرار البلاغية واللطائف الدقيقة مما تلفت إليه الآيات ويذكره علماء التفسير.

ثانياً: عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ثالثاً: تخريج الأحاديث و الآثار من مصادرها مع الحكم عليها ما أمكن.

رابعاً: تعريف الأعلام غير المشهورين تعريفاً موجزاً.

خامساً: توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.

سادساً: وضع فهرس للمصادر والمراجع

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله، وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

معنى النور في لغة العرب:

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، ومنه النور والنار سميا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة، وتنورت النار تبصرتها - ثم قال- والذي قلناه في قلة الثبات: امرأة نَوَارٌ أي: عفيفة تنُورُ، أي تنفر من القبيح». اهـ (١).

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٦٨/٥)، وابن فارس: أبوالحسين أحمد بن فارس الرازي من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٨/١١)، بغية الوعاة (٣٢٥/١).

وما ذكره ابن فارس يفيد أن كلمة النور تدور على معانٍ:

أولها: الإضاءة، فيقال: أضاء الشيءُ أي: أنار واستنار إذا وضُح وبان، والنور هو الذي يبين الأشياء ويُري الأبصار حقيقتها.

وفي القاموس المحيط: «النُّور: الضياء، نار وأنار واستنار ونوَّر وتنوَّر». اهـ (٢)

ثانيها: الاضطراب، وذلك أن النور والإضاءة والإنارة فيه سرعة الحركة والتحرك، ومنه قولهم: نارت الفتنة تنور، إذا وقعت وانتشرت فهي نائرة، فإذا أطفئت سكنت.

ثالثها: قلة الثبات، والنِّوار النِّفَار، ونرته وأنرته نفرته، وبقرة نوار تنفر من الفحل، وامرأة نوار، أي: عفيفة تنفر من كل قبيح وريبة. (٣)

وجاء في لسان العرب: «النُّورُ: الضياءُ، والنور ضد الظلمة، نار وأنار لازم ومتعدٍ وأنار المكانَ وضع فيه النور، والمنار العلم وما يوضع بين الشيئين من الحدود». اهـ (٤)

وهذا الكلام مع شدة إيجازه إلا أنه يكشف عن أمور:

(٢) القاموس المحيط ص٦٢٨.

(٣) انظر: الصحاح (٨٣٨/٢)، المصباح المنير (٦٣٠/٢)، القاموس المحيط ص٦٢٨.

(٤) لسان العرب (٢٤٠/٥)

أولها: أن النور ضد الظلمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ .(٥)

وإنما ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة الإفراد لتعددها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل كثير. (٦)

ثانيها: أن فعل النور لازم ومتعدٍ، تقول: نار السِّراجُ فأنار المكانَ.

ثالثها: أن المنار بمعنى المعلم لظهوره وتميزه عن غيره، ففي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «لعن الله من غيَّر منار الأرض»، (٧) أي: أعلام حدودها، (٨)

ومنار الإسلام معالمه وشرائعه، ومنارة المسجد مئذنته التي يؤذن عليها، ويتميز بها عن غيره، ونَور الشجر إزهاره من الإنارة، يقال نورت الشجرة وأنارت إذا أخرجت نورها وهو زهرُها وخضرتها، وذلك لظهوره وسطوعه. (٩)

ويوضح الراغب الأصفهاني أن النور ضربان: معنوي وحسي، كما يبين أنه أيضاً ضربان دنيوي وأخروي، ومنه ما هو عام، ويؤيد ما يقوله بشواهد من القرآن الكريم فيقول: «النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات، فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(١٠).

ومن المحسوس الذي بعين البصر نحو قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾، (١١) وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور، ومما هو عام فيهما قوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ .(١٢)

ومن النور الأخروي قوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾، (١٣) والمنارة مفعلة من النور أو من النار كمنارة السراج أو ما يؤذن عليه، ومنار الأرض أعلامها، والنوار النفور من الريبة وقد نارت المرأة تنور نوراً ونواراً، ونَور الشجر ونواره تشبيهاً بالنور، والنور ما يتخذ للوشم يقال نورت المرأة يدها، وتسميته بذلك لكونه مظهرًا لنور العضو» اهـ (١٤) .

(٥) سورة الأنعام، الآية(١).

(٦) انظر: الكشاف(٢/ ٣)، التفسير الكبير(١٢/ ١٥١).

(٧) رواه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٦٧ برقم(١٩٧٨).

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي١٣/ ١٤١

(٩) انظر: اللسان(٥/ ٢٤٣).

(١٠) سورة المائدة، الآية(١٥).

(١١) سورة يونس، الآية(٥).

(١٢) سورة الأنعام، الآية(١).

(١٣) سورة الحديد، الآية(١٢).

(١٤) المفردات ص٥٣٠. والراغب الأصفهاني: الحسين بن المفضل، أديب مفسر لغوي، عاش ببغداد وتوفي سنة (٥٠٢)، انظر: سير أعلام النبلاء(١٨/ ١٢٠)، معجم المفسرين (١/ ١٥٨).

وجاء في تعريف النور اصطلاحاً « أنه كيفية تدركها الباصرة أولاً، وبواسطتها سائر المبصرات ».(١٥)

وعرفه بعضهم بقوله: « النور هو اسم للكيفية العارضة من الشمس والقمر والنار على ظواهر الأجسام الكثيفة كالأرض».(١٦)

المبحث الأول: حقيقة النور الضياء والاستنارة

حقيقة النور الضياء والاستنارة، وهو عبارة عن الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وهو ما تحدثه الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها مما يضيء ويشع بنوره، والآيات القرآنية في كتاب الله ﷻ تشير إلى تلك الحقيقة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾، (١٧)

الشمس جعلت ضياء، أي: ذات ضياء أو مضيئة، والضياء: النورالساطع القوي، لأنه يضيء للرائي، والقمر جعل نوراً، أي: ذا نور أو منوِّر، والنور: الشعاع المستفاد من الضوء، وقيل: الضياء ما يضئ الأشياء، والنور هو المبين لمايخفى.

وإنما خصت الشمس بالضياء، لأنها أعظم جرماً ولأن الضياء له سطوع ولمعان وحرارة وتوهج، وهو المناسب للنهار الذي فيه الحركة والعمل، بخلاف القمر فقد خص بالنور، لأن النور يشمل القوي والضعيف، ولأن نور القمر مستفاد من الشمس وهو المناسب لليل الذي فيه الهدوء والسكن، (١٨) ولذا وصف الله ﷻ الشمس بأنها سراج في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ ، (١٩) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾، (٢٠)وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، (٢١) والسراج: المصباح الزاهرُ نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيُضيء إضاءة بليغة، ووصف الشمس بذلك من التشبيه البليغ، والغرض منه تقريب المشبَّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل، وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة مع شدة الحرارة والتلهب، (٢٢) وقوله: ﴿ وَهَّاجًا ﴾، الوهاج المتلألىء المضيء، أي: سراجاً وقاداً شديد الإضاءة، (٢٣) وأما القمر فقد وصف في الآيات السابقة بالإنارة: ﴿ وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أي: ينير الأرضَ ضوؤه إنارة مفيدة، يستنير به الساري ويتبدد به الظلام.

والنور ضربان: دنيوي وأخروي، والدنيوي ضربان: حسي ويكون بعين البصر، وهو ما ينتشر من الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم التي هي مصابيح السماء والنار وغيرها مما يستنار به ويستضاء مما يخلقه الله

(١٥) التعريفات للجرجاني ص.٢٤٦

(١٦) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ٢١١).

(١٧) سورة يونس، الآية(٥).

(١٨) انظر:فتح القدير (٢/ ٤٢٥)،روح المعاني (١١/ ٦٧)،التحرير والتنوير (١١/ ٩٤).

(١٩) سورة الفرقان، الآية (٦١).

(٢٠) سورة نوح، الآية (١٦).

(٢١) سورة النبأ،الآية (١٣).

(٢٢) انظر:التحرير والتنوير(٢٤/ ٣٠).

(٢٣) انظر:المفردات للراغب ص٥٧٢

ﷻ، ومعنوي ويكون بعين البصيرة وهو ما ينتشر من الأمور الإلهية كنور الإيمان والطاعة والهدى والعلم والقرآن والحكمة.

فمن الآيات التي شملت النوعين الحسي والمعنوي ما يلي:

١) قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (٢٤). فالنور في الآية شامل للنوعين الحسي كنور النهار والشمس والقمر والنجوم ونحوها والمعنوي، ونور العلم والإيمان واليقين، والطاعة والهداية.

وقدمت الظلمات على النور لتقدم العدم على الحدوث ، وجمعت الظلمات وأفرد النور لتعددها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل كثير، مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين الجملتين، السموات والأرض، والظلمات والنور. (٢٥)

٢) قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ،(٢٦)

والآية تشمل النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدى به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى النور وحجابه النور به استنارت السموات والأرض، وبنوره استنار العرش والكرسي والجنة والشمس والقمر والنجوم، فهو منوِّر السموات والأرض، وكتابه نور وشرعه نور والإيمان به نور، وبنوره اهتدى الحيارى الضالون إلى طريقهم،

وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله(٢٧) وللآية وقفة أخرى في المبحث التالي يتضح من خلاله ما فيها من معاني ودلالات.

٣) قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾(٢٨)، الآية في سياق بيان حقيقة أوصاف المنافقين، أُجملت صفاتهم المتقدمة بضرب مثل محسوس مشاهد وهو النار في إضاءتها، لأنه أقرب في إيصال المعاني إلى الأذهان، وهو نور الإيمان الذي استوقدوه من المؤمنين ولم ينتفعوا به، فمثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً وهو في ظلمة عظيمة، استوقدها من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله ونظر المحل الذي هو فيه وانتفع وقرت بها عينه، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره وبقي في ظلمة عظيمة ونار محرقة، فتعددت عليه الظلمات، ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة

(٢٤) سورة الأنعام،الآية(١).

(٢٥) انظر: الكشاف(٢/ ٣)، التفسير الكبير(١٢/ ١٥١)، إرشاد العقل السليم(٢/ ١٦١)، تيسير الكريم الرحمن ص (٢٥٠).

(٢٦) سورة النور، الآية (٣٥).

(٢٧) انظر: إرشاد العقل السليم(٤/ ١١٨)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

(٢٨) سورة البقرة، الآية (١٧).

بعد النور فكيف تكون حاله؟ فكذلك هؤلاء المنافقون استوقدوا نور الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم فانتفعوا بها في حقن دمائهم، وسلامة أموالهم، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، فأصبحوا في ظلمات ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق والمعصية، ثم نار جهنم.

ومعنى وقود النار إضرامها حتى تشتعل ويرتفع لهبها، وتنكيرها للتفخيم، وأما إضاءتها فهو ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها، وإنما جمع الضمير في: ﴿ بِنُورِهِمۡ ﴾ مع كونه عائداً إلى المفرد في: ﴿ مَا حَوۡلَهُۥ ﴾ مراعاة المشبه وهو المنافقون، دون المشبه به وهو المستوقد تأكيداً للغرض الأصلي وهو ذهاب نور الإيمان منهم.

واختيار لفظ النور عوضاً عن النار،للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين،فعبر بالنور لأنه المقصود من الاستيقاد، وجمع الظلمات لإفادة شدة الظلمة وتعددها. (٢٩)

فهذا النور الدنيوي بنوعيه الحسي والمعنوي، وأما النور الأخروي فقد أشارت إليه الآيات القرآنية في مواضع من كتاب الله ﷻ :

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ (٣٠).

الآيتان في بيان ما يحصل للمؤمنين والمؤمنات من الثواب، وما يحصل للمنافقين والمنافقات من الحرمان، فمما يحصل لعباد الله وأوليائه من المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من الثواب ومما يمنُّ به ﷻ عليهم أن يبشروا بأعظم بشارة وهو فوزهم بجنات النعيم وأن يهبهم النور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حينما تكور الشمس ويذهب ضوءها، ويخسف القمر ويذهب نوره، ويصير الناس في ظلمة وقد نصب الصراط على متن جهنم، هنالك يسعى المؤمنون والمؤمنات بنورهم، وهو بين أيديهم وبأيمانهم، كلٌ على قدر إيمانه.

أما المنافقون والمنافقات فإنهم إذا رأوا نور المؤمنين يمشون به وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، طلبوا من المؤمنين أن يمهلوهم لينالوا من نورهم حتى ينجوا من العذاب، فيقال لهم تهكماً بهم: ارجعوا إلى النور الذي وراءكم، أو إلى الدنيا، فيضرب بينهم بحاجز منيع، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة والنجاة والنور، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب والهلاك والظُلمة. (٣١)

وهذا النور نور حقيقي، وإضاءة واستنارة حقيقية للمؤمنين والمؤمنات، حينما يكون الناس في ظلمة، وإضافته إليهم تقتضي أنه خاص بهم لا يشاركهم

---

(٢٩) انظر: الكشاف (١/ ٧٤)، التفسير الكبير (١/ ٧٥)، تيسير الكريم الرحمن ص٤٤، التحرير والتنوير (١/ ٣٠٨).

(٣٠) سورة الحديد، الآيتان (١٢-١٣).

(٣١) انظر:إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٧٦)، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٩.

فيه غيرهم ، وهو أثر من آثار إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي هي نور معنوي، وقوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾، أي: أمامهم ومن جميع جهاتهم، وهو يفيد دنوه منهم والتصاقه بهم، وتخصيص الأيمان مع أن المراد كلا اليدين للتشريف،والتعبير بالسعي دليل على سعي صاحبه، وإلا لانفصل عنه وتركه.

وفي قوله: ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾، التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب، تكريماً لهم وعناية بهم، وقوله: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾، فيه دلالة على إسراع المؤمنين بنورهم وأنهم قد طلبوا منهم المهلة، والاقتباس من القبس وهو الشعلة، دليل على عظم نورهم، وقوله: ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾، أسلوب تهكم وسخرية واستهزاء، مقابلة باستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا. (٣٢)

ومما ورد في كتاب الله تعالى ما جاء في آية التحريم من تكريم الله ﷻ للمؤمنين بهذا النور العظيم في الدار الآخرة ، فقد قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾،(٣٣) الخزي: الهوان والذل والخذلان، وهذا اليوم يوم إعزاز وتكريم للنبي ﷺ والذين معه، لأنَّ في نفي الخزي عنهم إثبات الكرامة والعزة لهم، ومن أعظم التكريم أن يمنحهم الله ﷻ هذا النور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وهم إذا رأوا المنافقين قد أطفئ نورهم يسألون ربهم إتمام نورهم، ولأنه يتفاوت نورهم فيسألونه الإتمام، ومن حسن أدبهم مع ربهم أنهم إذا رأوا هذا التكريم لم ينسوا تقصيرهم ونقصهم فيطلبون من الله المغفرة، (٣٤) ، وتقديم ﴿ نُورُهُم ﴾ على الفعل ﴿ يَسْعَىٰ ﴾ هنا، وتأخيره في آية الحديد، لأنه لما ذكر النبي ﷺ والمؤمنين معه، أراد إثبات النور لهم فجاء بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام، بخلاف آية الحديد فهي بشارة لهم يناسبها تقديم الفعل الذي يفيد الحدوث والتجدد. (٣٥)

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ ﴾.(٣٦)

فمن حقق الإيمان بالله وأقرَّ بوحدانيته وآمن برسله واتَّبع ما جاءوا به من عند ربهم، وهذا يشمل الإيمان بجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة،وجمع بين هذه الأمور فأولئك هم الصديقون، الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين،ودون مرتبة الأنبياء، وإنما جمع الرسل تعريضاً بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والصدِّيق مبالغة في المصدق،واسم الإشارة للتنويه بشأنهم وللتنبيه على أن المشار إليهم استحقوا ذلك من أجل تلك الصفات.

وقوله: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾، الواو إما عطف على ما قبله، أي: وهم الشهداء على الأمم يوم الجزاء، وإما

(٣٢) انظر: نظم الدرر (١٩/ ٢٧٤)، روح المعاني (٢٧/ ١٧٦)، التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٨٠) .

(٣٣) سورة التحريم، الآية (٨).

(٣٤) انظر:المفردات للراغب ص١٤٧، نظم الدرر(٢٠/ ٢٠٤)، روح المعاني (٢٨/ ١٦١).

(٣٥) انظر:ملاك التأويل (٢/ ١٠٧١).

(٣٦) سورة الحديد، الآية (١٩).

استئناف، خبر عن الشهداء في سبيل الله وما لهم من الثواب، وهو يدل على علوهم وقربهم من الله، والآية محتملة .(٣٧)

فهؤلاء الموصوفون بتلك الصفات، هم الموعودون بالأجر العظيم والنور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يستضيئون به على قدر أعمالهم، وإضافته إليهم تكريم لهم، وفيه دلالة على أنه خاص بهم لا يشاركهم فيه غيرهم.

المبحث الثاني:الله نور السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ،(٣٨) الله نور السموات والأرض، به استنارت السموات والأرض وما فيهما، فهو سبحانه نور، وحجابه نور، وكتابه نور، وشرعه نور، وهدايته نور منه سبحانه، والنور صفة من صفاته ﷻ قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى(٣٩)، ففي الحديث: « لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن».(٤٠)

فالآية شملت النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدى به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى منوِّر السموات والأرض، وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله .(٤١)

« ثم ضرب الله ﷻ لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط غير النافذة، مَثَلُ الصدر، وفي المشكاة زجاجةٌ صافية صفاء الكوكب المضيء إضاءة الدُّر، وهي مَثَلُ القلب، وشُبِّه القلب بالزجاجة بجامع الصفاء والرقة والصلابة.

وهذه الزجاجة فيها مصباح وهو النور الذي في الفتيلة وهي حاملته، ومادة هذا النور هو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيوت حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح الحقيقي، كذلك مادة نور المصباح المعنوي الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي

(٣٧) انظر: معالم التنزيل(٤/ ٢٩٨)، التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٨٤٠ .

(٣٨) سورة النور، الآية (٣٥).

(٣٩) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٠٢). .

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٢)برقم(١٢٨٨).

(٤١) انظر: إرشاد العقل السليم(٤/ ١١٨)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

التي هي من أعظم الأشياء بركة وهي أوسط الأمور وأعدلها، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن ».(٤٢)

وهذا الزيت مع شدة صفائه يكاد يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، وقلب المؤمن كذلك، يضيء بفطرته السليمة فإذا جاءه الهدى ازداد نوراً على نور، والله يهدي لنوره ويوفق لاتباع شرعه وتدبر كتابه من يشاء من عباده ممن يعلم منه قبول الحق والإذعان إليه، وإنما ضرب الله هذا المثل للناس لأجل أن يعقلوا عنه أمثاله وحكمه، فإن ضرب الأمثال سبب في توضيح الأحكام وتبيين الأشياء وتقريب المعاني للأذهان. (٤٣)

وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه، وانتشار إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أن أهل السموات والأرض قد استضاءوا بنوره واهتدوا به، وفي إبهام الشجرة في قوله: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ ﴾ ووصفها بالبركة ثم الإبدال عنها أو بيانها تفخيم لشأنها.

وقوله: ﴿ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ ﴾ أي: ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا يحجبها عنها شيء من حين تطلع إلى أن تغرب، وذلك أحسن لزيتها، ومن ثم خصت شجرة الزيتون لأن لب ثمرتها الزيت الذي تشتعل به المصابيح، وخص هذا الدهن لمزيد إشراقه مع قلة الدخان. (٤٤)

وإذا كان يوم القيامة وذهبت الأنوارُ الموجودة، فالشمس عند ذلك تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، وأصبح الناس في ظلمة حينها تشرق الأرضُ بنور ربها وتضيء، وذلك عندما يجيء الرحمن ﷻ فيبرز لفصل القضاء بين خلقه،

و قال تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾، (٤٥)

وإشراقُ الأرض إضاءتها بنور الله ﷻ، يقال: أشرقت الشمس، إذا أضاءت وصفت، وأشرقت: إذا طلعت، وإشراق الأرض يكون حينما يبرز الرحمن ﷻ لفصل القضاء بين خلقه يتجلى وينزل للفصل بينهم. (٤٦)

وإنما جيء بالماضي في الأفعال: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ، وَوُضِعَ، وَجِاْيٓءَ، وَقُضِيَ ﴾، لأنه محقق الوقوع، والكتاب: صحائف العباد، وإفراده قصد به الجنس. (٤٧)

المبحث الثالث:القرآن الكريم هو النور المبين .

---

(٤٢) الوابل الصيب ص١١٦ بتصرف يسير.

(٤٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٨ ، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

(٤٤) انظر:الكشاف (١/ ٢٤١)، أنوار التنزيل (٢/ ١٢٤)،روح المعاني (١٨/ ١٦٨) .

(٤٥) سورة الزمر، الآية (٦٩).

(٤٦) انظر: جامع البيان (٢٤/ ٢٢)، تفسير القرآن العظيم (٧/ ١١٨)، تيسير الكريم الرحمن ص٧٢٩

(٤٧) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٦٨).

القرآن الكريم كتاب هداية للخلق جميعاً، ختم الله ﷻ به ما سبقه من الكتب وأودع فيه ما يحتاجه العباد لإصلاح حياتهم، عقيدة وشريعة وآداباً وسلوكاً، فكان حقاً نوراً مضيئاً، أنار للناس طريقهم نحو السعادة الحقَّة، واستضاءت به الدنيا بعد الظلمات، واستنارت به العقول بعد الجهالة، قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾. (٤٨)

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف القرآن بأنه نور مبين، نور من عند الله، والله نور السموات والأرض، وقد سماه الله نوراً لأنه أشبهَ النور في إيضاح المطلوب باستقامة حجته وبلاغة كلامه، وبإرشاده إلى الخصال القويمة.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾، (٤٩) فأخبر ﷻ الناس عموماً، أنه قد جاءهم الحق من ربهم وأنهم قد جاءتهم البراهين القاطعة التي تقيم عليهم الحجة وتوضح لهم المحجة بما بعث به نبيه محمداً ﷺ، وشرع به شرعه القويم، والنور المبين هو القرآن الكريم لوقوع نور الإيمان في قلوب أهله، ولكونه سبباً في إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال والجهل إلى نور الإيمان والهداية والعلم واليقين، فهو نيّر بنفسه منير لغيره، كالنور الحسي. (٥٠)

وإنما غاير بين الفعلين: ﴿جَآءَكُم ﴾ و ﴿ وَأَنزَلْنَآ ﴾، لبيان أن الشرع برهان قاطع إنما جاء لإقامة الحجة على الخلق، وأن القرآن أُنزل لهدايتهم وتبصيرهم، فأسنده إليه ﷻ بطريق الالتفات لكمال تشريفه، وإنزاله إليهم من غير ذكر المنزل إليه وهو الرسول. ﷺ لكمال اللطف بهم والمبالغة في الإعذار.

والتنوين في: ﴿ بُرْهَـٰنٌ ﴾ للتفخيم، والتصريح بذكر لفظ الربوبية مع إضافته إلى ضمير المخاطبين ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لإظهار اللطف بهم والإشعار بأن مجيء ذلك لتربيتهم.(٥١)

و قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، (٥٢) والآية تعليمٌ لكيفية اتباعه ﷺ وبيانٌ لعلو رتبة متبعيه، الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل مرهوب، بعد بيان نعوته الجليلة في الآية نفسها: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾، فمن اتصف بهذه الصفات من الإيمان بالرسول ﷺ وتصديق ما جاء به، وتبجيله وتوقيره، ونصرته على

(٤٨) سورة إبراهيم، الآية (١).

(٤٩) سورة النساء، الآية (١٧٤).

(٥٠) انظر: التفسير الكبير (١١/ ١٢٠)، إرشاد العقل السليم (١/ ٨٢٦)، روح المعاني (٦/ ٤٢).

(٥١) انظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٨٢٦)، روح المعاني (٦/ ٤٢).

(٥٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

أعدا ئه واتـ باع ما أ نزل إلـ يه و هو الـ قرآن الـ كريم فـ هم الموعودون بهذا الوعد الكريم.

وفي هذه الآية سمى الله ﷻ كتابه العزيز نوراً، وسبب ذلك أن بيانه في القلوب كبيان النور، ولأنه ظاهر بنفسه مُظهر لغيره، أو لكونه مظهراً للحقائق كاشفاً عنها ، وإنما أمر باتباع النور لأنه بمعنى الاقتداء بما ورد في القرآن الكريم، شُبه حال المقتدي بهدي القرآن بحال الساري في الليل إذا رأى نورًا قد لاح له اتبعه، لعله يجد عنده نجاة وسلامة من أضرار السير، فالاتباع يكون للاقتداء، والنور يكون للقرآن، لأن الشيء الذي يكون طريقاً لبيان الحق والرشد يشبَّه بالنور. (٥٣)

وإنما قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾، وهو قد أنزل إليه، لأنه أنزل مع نبوته وظهر بظهورها. (٥٤)

وقال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾. (٥٥)

الفاء فصيحة تفصح عن شرط قد حذف ثقة بظهوره، أي: إذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله الذي له الإحاطة الكاملة بكل شيء وقد سمعتم ما سمعتم من شؤونه ﷻ، ورسوله ﷺ البشير النذير، وكتابه المنزل عليكم وهو القرآن الكريم، فإنه بإعجازه بيِّن بنفسه مبين لغيره، وإنما سماه الله نورًا، لأن النور ضد الظلمة، وهذا الكتاب الذي أنزله الله ﷻ وغيره مما أُنزل من الكتب، وما فيه من الأحكام والشرائع والأخبار أنوار يُهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، والالتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بشأن المنزل، ولزيادة الترغيب فيه. (٥٦)

وقال في وصف القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾. (٥٧) أي: مثل ما أوحينا إلى الرسل من قبلك أوحينا إليك هذا القرآن، وإنما سمي القرآن روحاً، لأن الروح يحيى به الجسد، والقرآن تحيى به القلوب والأرواح، وأيضاً تحيى به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير، وهو نعمة من الله ﷻ على رسوله ﷺ وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ ﴾، أي: ليس لك دراية به ولا علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الماضية قبل نزوله عليك، لكن جاءك هذا الكتاب الذي جعله الله نوراً يُستضاء به في ظلمات الكفر والبدع والأهواء المردية والجهالات، وتُعرف به الحقائق، ويُهتدى به إلى الصراط المستقيم،

والتنوين في: ﴿ رُوحًا ﴾، ﴿نُورًا﴾ يفيد التعظيم، أي: روحاً عظيماً ونوراً عظيماً.(٥٨)

---

(٥٣) انظر: روح المعاني(٩/ ٨٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٥، التحرير والتنوير(٩/ ١٣٨).

(٥٤) انظر: الكشاف (٢/ ١٦٦).

(٥٥) سورة التغابن، الآية(٨).

(٥٦) انظر: أنوار التنزيل(٢/ ٤٩٩)، روح المعاني(٢٨/ ١٢٣)، تيسير الكريم الرحمن ص٨٦٦، التحرير والتنوير(٢٨/ ٢٧٣)

(٥٧) سورة الشورى، الآية (٥٢).

(٥٨) انظر: روح المعاني (٢٥/ ٥٨)، تيسير الكريم الرحمن ص٧٦٢ التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥١).

وإذا تأملنا ما تقدم من الآيات الواردة وجدنا أن الله ﷻ قد وصف كتبه بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، نور يهتدي بها المهتدون، ويأتم بها السالكون، وتعرف بها الأحكام، ويميز بها بين الحلال والحرام، والحق والباطل، وتنير في ظلمات الجهل،

فجاء في وصف كتابه التوراة المنزل على رسوله موسى عليه السلام بأنه نور، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ ﴾،(٥٩) هدى يهدي إلى الإيمان والحق ويعصم من الضلالة، ونور يستضاء به في ظلمات الجهل والحيرة والشكوك، ويزيل الشبهات ويدفع الشهوات، وتعرف به الحقائق. (٦٠)

ولما زعم اليهود وغيرهم أن الله ما أنزل على بشر من شيء وهم بذلك ما قدروا الله حق قدره، ولا عظموه حق عظمته، لأنه قدح في حكمته بأنه ترك عباده هملاً، من غير شريعة ولا رسالة، يسيرون عليها لينالوا بها السعادة والكرامة والفلاح، رد الله عليهم ملزماً لهم بفساد قولهم، وقررهم بما به يقرون، على وجه التشنيع والإنكار بقوله: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ ﴾،(٦١) وهو التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، فيها نور العلم والإيمان والطاعة والسعادة، وفيها الهداية من الضلالة والشبهات والشكوك، والهداية إلى الصراط المستقيم علماً وعملاً. (٦٢)

وكما وصف كتابه التوراة بأنه نور وهدى وصفه بأنه ضياء يضئ للناس طريقهم فيستبصرون به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾.(٦٣)

وزاد في وصفه أيضاً بأنه فرقان لأنه يفرق به بين الحق والباطل، وضياء لغاية وضوحه فيتوصل به إلى طرق الهداية وسبل النجاة في معرفة الله ﷻ ومعرفة الشرائع، وأنه ذكر أي: تذكرة وموعظة، وذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، وشرف ومكانة لهم.(٦٤)

وقال في وصف كتابه الإنجيل المنزل على رسوله عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ ﴾. (٦٥) هدى يهدي من الضلالة إلى الصراط المستقيم، ونور لما فيه من الإيضاح وحسن بيان في العلم والطاعة والإيمان، يضئ للهداة طريقهم ويكشف عنهم المشكلات والشبهات، والتنكير في الوصفين للتفخيم. (٦٦)

بل وصف سائر كتبه المنزلة والتي جاءت بها الرسل بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ

---

(٥٩) سورة المائدة الآية (٤٤).

(٦٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٣٢

(٦١) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٦٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٠)، تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٤

(٦٣) سورة الأنبياء (٤٨).

(٦٤) انظر: التفسير الكبير (٢٢/ ١٧٨).

(٦٥) سورة المائدة، الآية(٤٦).

(٦٦) انظر: إرشاد العقل السليم(٢/ ٦٥).

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ (٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ . (٦٨)

فر سل الله جاءوا أ قوامهم بالمعجزات الـ باهرات والحجج الواضحات، والكتب المنزلة التي هي نور بها تنكشف الظلمات، وتنجلي المدلهمات.

وهاتان الآيتان جاءتا في موضعين مختلفين فاختلف أسلوبهما من حيث اقتران الباء وعدمه، فقد اقترنت الباء في آية فاطر وتجردت في آية آل عمران، لأن الثانية في سياق زعم اليهود ألا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قربان تأكله النار، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ . (٦٩)

فقيل في التفرد ببهتانهم: قد كُذبت رسل جاء كل واحد منهم بأنواع المعجزات، فترك إعادة الباء إشارة إلى أن الرسل قد جاءوا بالأنواع الثلاثة.

وأما آية فاطر فهي في مقام تسلية الرسول صلى الله عليه و سلم فذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل، فمنهم الذين أتوا بالآيات، ومنهم من أتى بالزبر والمواعظ، ومنهم من جاء بالكتاب المنير و الشرائع، فذكر الباء إشارة إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل. (٧٠)

فتبين أن القرآن العظيم نور وكتب الله المنزلة نور، يهتدي به المهتدون، ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وتنير في ظلمة الجهل، ولما ذم الله ﷻ من يجادل ويخاصم بالباطل ليدحض به الحق ويقلد أئمة الضلال بيَّن أن جدالهم في الله بعد ظهور الأدلة أمر مستغرب، ويزيده غرابة وبشاعة إذا كان لا يقوم على دليل ولا معرفة، ولا هدى مرشدٍ، ولا وحي منيرٍ يستندون عليه يظهر لهم الحق وينير القلب والعقل(٧١).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (٧٢).

فتلك حجج باطلة ومجادلة ساقطة لكونها لا تعتمد على علم ولا هدى ولا كتاب من تستنير به.

المبحث الرابع: الرسول ﷺ نور يُهتدى به

الرسول ﷺ هو السفير من الله ﷻ إلى عباده وحامل وحيه، ومهمته إبلاغ الرسالة وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية، ودعوتهم إلى الخير، قال تعالى في بيان رسالة موسى ﵇ وهو أحد

(٦٧) سورة آل عمران، الآية(١٨٤).

(٦٨) سورة فاطر، الآية(٢٥).

(٦٩) سورة آل عمران، الآية(١٨٣).

(٧٠) انظر: التحرير والتنوير(٢٢ / ٢٩٨).

(٧١) انظر. جامع البيان(١٧/ ٩٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٣٣

(٧٢) سورة الحج، الآية(٨)، سورة لقمان الآية (٢٠).

ر سل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾. (٧٣)

فوظيفة الر سولﷺ هدا ية الخلق وإ نارة الطر يق لهم وإزالة الظلمات وكشف الشبهات لما معه من النور والعلم والبيان، كما قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. (٧٤)

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في و صف الر سول ﷺ بأنه نور يشرق ويضيء للناس طريقهم، نور قد جاء من عند الله وسراج منير، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾، (٧٥)

فالنور هو الرسول ﷺ أنار الله به الحق، والكتاب المبين هو القرآن العظيم بيّن في نفسه مبين للحق، (٧٦) ،

قال ابن جرير الطبري في تفسيره « يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: ﴿ قَدْ جَآءَكُم ﴾، يا أهل التوراة والإنجيل، ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾، يعني بالنور: محمدًا الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يبيِّن الحق، ومن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب، وقوله: ﴿ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾، يقول جل ثناؤه: قد جاءكم من الله تعالى النور الذي أنار لكم به معالم الحق، وكتاب مبين، يعني: كتابًا فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله، وحلاله وحرامه، وشرائع دينه، وهو القرآن الذي أنزله ».اهـ (٧٧)

وتقديمُ الجار والمجرور ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ على الفاعل ﴿ نُورٌ ﴾ للمسارعة إلى بيان كون المجيء من جهته ﷻ، وللتشويق إلى الجائي، وتنوين ﴿ نُورٌ ﴾ للتفخيم. (٧٨)

وكما وصف القرآن الكريم الرسول محمداً ﷺ بالنور وصفه أيضاً بأنه سراج منير يضيء لمن استضاء بضوئه، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٧٩). داعياً يدعو الخلق إلى عبادة ربهم بأمره وقدرته، وسراج يضئ للخلق يستضيئون بالنور الذي جاء هم به من عند الله.

قال ابن سعدي: « كو نه سراجاً منيراً، وذ لك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله ﷻ بهذا النبي الكريم ﷺ، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم، فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام ﷺ وعرفوا به الخير والشر، وأهلَ السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا

---

(٧٣) سورة إبراهيم، الآية(٥).

(٧٤) سورة الشورى، الآية(٥٢).

(٧٥) سورة المائدة، الآية(١٥).

(٧٦) هذا هو الرأي الصحيح في معنى الآية،وعليه جمع من المفسرين، لأن العطف يقتضي المغايرة،وقيل:النور هو القرآن، وقيل هو الإسلام، انظر: التفسير الكبير (١١/ ١٨٩)

(٧٧) جامع البيان(٦/ ١٠٤).

(٧٨) انظر:إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٧).

(٧٩) سورة الأحزاب، الآية(٤٦) .

به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة » اهـ.(٨٠)

ولما كان المقام مقام دعوة وإرشاد إلى الهداية واستنارة من الظلمات وُصف ﷺ بأنه سراج، والسراج المصباح الزاهر نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيُضيء إضاءة بليغة، وهذا الوصف من التشبيه البليغ، والقصد منه تقريب المشبَّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة ولذا وصفت الشمس بالسراج كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ . (٨١)

ولما كان من السُرُج ما لا يضيء جاء التأكيد بقوله: ﴿ مُّنِيرًا ﴾ ولأن التصريح به يفيد أنه ينير على من اتبعه ليسير في أعظم ضياء، ومن تخلف عنه كان في ظلمات مدلهمة. (٨٢)

المبحث الخامس: دين الله هو النور المبين.

اختار الله ﷻ الإسلام ديناً، وفضله على جميع الأديان، وأنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ بشيراً ونذيراً لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ودين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو الدين الكامل الشامل لكل ما يحتاج إليه البشر في عباداتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الصالح لكل زمان ومكان، هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف هذا الدين بأنه نور، نور من عند الله، وإنما سماه الله نوراً، لأن هذا الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ مشتمل على بيان الحق من الباطل في أحكامه وأخباره، وعلى الأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال الصالحة والآداب النافعة، وهذه كلها نور للعباد يستنيرون بها في حياتهم ويخرجون بها من ظلمات الجهل والضلال(٨٣)، كما قال تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.(٨٤)

والقرآن الكريم يكشف عمَّا يكنّه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن شاكلهم من المشركين من الممالاة والتألب على هذا الدين، ومحاولة إطفاء هذا النور بتكذيبهم وبأقاويلهم التي لا مستند لها، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .(٨٥)

---

(٨٠) تيسير الكريم الرحمن. ص٦٦٧ وابن سعدي: عبدالرحمن ابن ناصر السعدي من علماء القصيم برع في فنون شتى وألف مؤلفات عديدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر: مشاهير علماء نجد ص(٢٩٢)، معجم المفسرين (١/٢٧٩).

(٨١) سورة نوح، الآية (١٦).

(٨٢) انظر: روح المعاني (٢٢/٤٦)، التحرير والتنوير (٢٢/ ٥٤).

(٨٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥

(٨٤) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(٨٥) سورة التوبة، الآية (٣٢).

ونور الله دينه وشرعه الذي أنار به الدنيا، وانقشعت به الظلمة، وانتشر في الآفاق حتى أنارت به قلوب العباد، وهذا تمثيل لحالهم في محاولة إبطال دين الله وشرعه بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ليطفئه ويذهب أضواءه، كمن يريد إبطال نور الشمس بنفخه فيها، وليس له ذلك، وهذا أسلوب تهكم بهم وسخرية، وشرع الله هوالنور الباهر الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، لأن الله ﷻ أراد إظهاره وإتمامه بانتشاره على الأديان كلها.(٨٦)

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾.(٨٧)

وفي هذه جيء باللام في: ﴿ لِيُطْفِـُٔوا ﴾، والغرض هو تأكيد معنى الإرادة ،كقولك: جئتك لإكرامك، وجيء بالجملة الاسمية: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾، لإفادة ثبات تمام النور ودوامه، فكأن هذه الآية نتيجة لما أخبر في آية التوبة بأنه يأبى إلا إتمام نوره(٨٨).

المبحث السادس:النور نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءت به الرسل وانقادت جوارحهم له هم أولياء الله ﷻ الذين تولوه فلا يبغون عنه بدلاً، واتخذوه ولياً ونصيراً، فتولاهم ﷻ وأحسن إليهم فأخرجهم من ظلمات الكفر والضلال والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾،(٨٩) وأما غيرهم وهم الكفار فإن وليهم الشيطان وحزبه الذي كان يعدهم ويمنيهم المواعيد الكاذبة والأماني الخادعة، فلما تولوه من دون الله كان لهم ولياً فأخرجهم من نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم إلى ظلمات الكفر والضلال والمعاصي والجهل فكان ذلك سبباً في أن مصيرهم إلى النار وجزاءهم الخلود فيها،(٩٠)

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ ،(٩١)

وهذا النور العظيم نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته والعلم به، و الهداية إلى صراطه المستقيم والطاعة والعبودية والخضوع له ﷻ، ومن يُوفق إليه فإن الله يوفقه بإرادته وتوفيقه لسلوك سُبُل النجاة والسلامة من العذاب ويوصله إلى دار السلام وهي الجنة، ويجنبه ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي(٩٢).

---

(٨٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٥٤٥)، تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥، التحرير والتنوير (١٠/ ١٧١).

(٨٧) سورة الصف، الآية (٨).

(٨٨) انظر: الكشاف(٤/ ٥٢٥) ،نظم الدرر(٢٠/ ٣٠) .

(٨٩) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

(٩٠) انظر: جامع البيان(٣/ ١٥)، تيسير الكريم الرحمن ص١١١

(٩١) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

(٩٢) انظر: معالم التنزيل (١/ ٢٤١)، تيسير الكريم الرحمن ص١١١

قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾،(٩٣)

والضمير في: ﴿ بِهِ ﴾ عائد على الرسول ﷺ،أو القرآن الكريم أوعليهما(٩٤) ،الوارد في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ ،(٩٥) فمن اهتدى بهدى الله واتبع رضاه وفقه لسلوك سُبُل النجاة والسلامة من العذاب وأوصله إلى دار السلام،وأخرجه من الظلمات إلى النور .

ولا ريب أن الرسول الكريم ﷺ وهو السراج المنير سبب لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال والكفر والمعاصي إلى نور الإسلام والعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾. (٩٦)

قال ابن جرير الطبري: « أي: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفرِ، إلى نور الإيمان وضيائه، وتُبصِّر به أهل الجهل والعمَى سُبُل الرشاد والهدى » اهـ.(٩٧)

يـ هديهم ا لنبيﷺ بـ هذا الـ قرآن الـ كريم وا لذكر الحكيم، ويخرجهم من ظلمات الجـهل والـضلال والمعا صي إلى نور الإيمان والهداية والطاعة، قال تعالى: ﴿ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ .(٩٨)

وإنما خص المؤمنين بالإخراج تخصيصاً لهم واهتماماً بشأنهم وإن كان الإخراج لعموم الناس .(٩٩)

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠٠).

وهذا من لطفه ورأفته وعنايته أيضاً بالمؤمنين أن أ نزل عـليهم الآ يات البينات وا لدلائل الـ ساطعات عـلى عـ بده ونبيه و خيرته من خلقه، ليخرج الناس من ظلـمات الجـهل والـ ضلال والكـ فر والمعا صي إلى نور الإ يمان والطا عة والهداية .(١٠١)

و من لط فه ورحمـ ته ﷻ أ نه لما أر سل ر سوله موسى ﷺ بالآيات الواضحات والمعجزات الباهرات وكان ذ لك سبباً في إ خراج قو مه من ظلـ مات الكـ فر والجـ هل والضلال إلى نور الطاعة والإيمان والعلم والهداية.(١٠٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ ﴾

---

(٩٣) سورة المائدة، الآية (١٦).

(٩٤) انظر:فتح القدير (٢ / ٢٣)

(٩٥)سورة المائدة، الآية (١٥).

(٩٦) سورة إبراهيم، الآية (١).

(٩٧) جامع البيان(١٣/ ١٢٠).

(٩٨) سورة الطلاق، الآية (١١).

(٩٩) انظر: التحرير والتنوير(٢٨/ ٣٣٨).

(١٠٠) سورة الحديد،الآية (٩).

(١٠١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨

(١٠٢) انظر:تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧٨).

.(١٠٣) فكانت رسالة موسى عليه السلام سبباً في إخراج قومه من الظلمات إلى النور.

ومن لطفه وإحسانه ﷻ أن جعل من صلاته وثنائه على عباده وأوليائه المتقين، ومن صلاة ملائكته ودعائهم لهم ما يكون سبباً في إخراجهم من ظلمات الجهل والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والعلم والطاعة، وهذا لا شك أنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده الصالحين الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله الذي لطف بهم ووفقهم لهذا الفضل العظيم،

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾،(١٠٤) وفعل المضارع: ﴿ يُصَلِّى ﴾ يفيد التجدد والاستمرار، كما أن إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور، وهم في نور الإيمان والطاعة للاستزادة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ ﴾(١٠٥)،(١٠٦)، فمن اهتدى بهدى الله انشرح صدره للإسلام واطمئن قلبه لمعرفة ربه وانقاد لطاعته فأصبح على نور وبصيرة ويقين واهتداء بنور الإسلام، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١٠٧)، وإنما ذكر شرح الصدر باستضاءته بنور الإيمان ولم يذكر القلب الذي فيه ليدل على شدته وكثرته التي اتسعت فملأت الصدر فضلاً عن القلب، أما القسوة فقد ذكر فيها القلب ليدل على فساده، وأنه بفساده فساد البدن كله، وإسناد شرح الصدر إلى الله ﷻ دليل على أن ذلك بإرادته وتوفيقه وأنه خير، بخلاف قسوة القلب فإنها شر محض، وكان مقتضى المقابلة أن يعبر بالضيق وإنما وصفهم بقسوة القلوب لأن ذلك يفيد عدم قبول شيء بخلاف الضيق فإنه مشعر بقبول شيء ولو قليلاً ،(١٠٨)

ولما نادى ﷻ المؤمنين عموماً وأمرهم بلزوم تقواه والإيمان برسوله ﷺ بين أثر ذلك وهو حصول الكفلين، وهما الأجران العظيمان، لا يعلم قدرهما إلا الله وحصول النور من العلم والهدى والطاعة الذي يمشي عباده المتقون به في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي وزيادة على ذلك نور الآخرة عندما يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وحصول مغفرة الذنوب وتكفير السيئات،

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠٩)، قيل: الخطاب لأهل الكتاب نظراً لسياق الآيات، والأجران لإيمانهم بالأنبياء السابقين وبمحمد ﷺ، وقيل: الخطاب لعموم المؤمنين، وهو الظاهر لتصدير الآية بندائهم، والأجران فضل وإكرام. والتعبير بـ:

(١٠٣) سورة إبراهيم،الآية (٥).

(١٠٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٣).

(١٠٥) سورة مريم، الآية (٧٦).

(١٠٦) انظر: جامع البيان (٢٢/ ١٣)، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧، التحرير والتنوير(٢٢ / ٥٠).

(١٠٧) سورة الزمر، الآية (٢٢).

(١٠٨) انظر: نظم الدرر (١٦/ ٤٨٥)، روح المعاني (٢٣/ ٢٥٧)، التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧٩).

(١٠٩) سورة الحديد، الآية (٢٨).

﴿ تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ تشبيهٌ لحالهم في العلم والهدى بحال قوم يمشون في طريق بليل يخشون التيه والضلال، فيعطون نوراً يستضيئون به فيبصرون فيأمنون الضلال(١١٠)، وهذا النور العظيم هو نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، ونور العلم به ﷻ، وبآياته، ونور الهداية إلى صراطه المستقيم، ومن منحه الله ﷻ من هذا النور فاستنار قلبه بذلك فهو الموفق لكل خير، وهذه هي السعادة الحقيقية التي يتحقق بها رضوان الله وتحصل بها النجاة والسلامة من العذاب، والوصول إلى دار السلام، وأن يسلم صاحبها من ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي، وهذا النور ليس لكل أحد، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (١١١)، فمن حرم، ولم يوفق للاهتداء لنور الطاعة والإيمان والعلم، والتنعم بنعمة الطاعة ولم يسعد بهذه السعادة فهو الميت حقيقة، الغارق في ظلمات الكفر والضلال إلا من أحياه الله بنور الإيمان والهداية والعلم والطاعة فهو يستضئ بهذا النور، ويمشي به بين الناس متبصراً في أموره مهتدياً لسبيله، عالماً بسبل النجاة سالكاً لها مبتعداً عن طرق الغي والضلال، فهل يستوي هذا بمن هو في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي منغمساً فيها قد التبست عليه الطرق وأظلمت عليه المسالك؟

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٢)،

فإن سأل سائل: لم يسلك هؤلاء المسالك المظلمة، طرق الغي والمعاصي والضلال؟ ومن يرضى أن يبقى في هذه الظلمات؟ فالجواب هو قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، أي: أن الشيطان زين لهم أعمالهم وحسن لهم القبائح حتى صارت لهم صفة لازمة لا تنفك عنهم أبداً. (١١٣)، فلا يستوي من هو على نور من ربه ومن هو منغمس في ظلمات الضلال والردى، كما لا يستوي الأعمى والبصير، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ ﴾، (١١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ ، (١١٥)

قال ابن جرير الطبري في تفسير آية الرعد: « يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلماتُ التي لا ترى فيها المحجة فتسلك، ولا يرى فيها السبيل فيُركب، والنور الذي تبصر به الأشياء، ويجلو ضوؤه الظلام؟ يقول: إن هذين -لا شك- لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه،

(١١٠) انظر: روح المعاني (٢٧/ ١٢٣)، تيسير الكريم الرحمن ص٨٤٣، التحرير والتنوير(٢٧/ ٤٢٩).

(١١١) سورة النور، الآية (٤٠).

(١١٢) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).

(١١٣) انظر: نظم الدرر(٧/ ٢٥٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٢٧١.

(١١٤) سورة الرعد، الآية (١٦).

(١١٥) سورة فاطر، الآية (٢٠).

ومعرفة منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه» اهـ.(١١٦)

الخاتمة

أحمد الله حمدًا كثيرًا أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به.

هذا وإن لفظ النور من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتعددت معانيه وهذا الأمر مما قد يشكل على الكثير، فكانت هذه الدراسة من جمع ونقل وبيان سبيلاً إلى كشف هذه الألفاظ المتفقة في ظاهرها والمتداخلة والمتداخلة، والوصول إلى معانيها المختلفة بشيء من النظر والتأمل والتدبر فيما ورد منها في كتاب الله ﷻ.

ويمكن أن أوجز أبرز ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج في النقاط التالية:

أولاً: أن النور في لغة العرب يدور على معانٍ أشهرها: الإضاءة التي تعين على الإبصار، وسرعة التحرك، والاضطراب، والنفور من الشيء، وأنه يقابل الظلمة.

ثانيا: أن لفظ النور جاء في القرآن الكريم منكراً ومعرفاً في تسعة وأربعين موضعاً، تقصتها هذه الدراسة موضعاً موضعاً.

ثالثاً: أن النور في وروده في كتاب الله ﷻ شمل النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر، والمعنوي وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة.

رابعاً: أن النور بنوعيه الحسي والمعنوي كما أنه يكون في الدنيا كذلك يكون في الدار الآخرة، فيسعى المؤمنون بنورهم في عرصات يوم القيامة وعلى الصراط.

خامساً: اجتمع لكلمة النور في القرآن الكريم من المعاني ما يقرب من العشرة، تناولتها هذه الدراسة في ستة فصول، اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأن النور اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه وصف للقرآن العظيم وغيره من الكتب المنزلة، وهو أيضاً من صفات نبينا الكريم ﷺ وصفات ديننا القويم، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

سادساً: أن النور في هذه المعاني أغلبه معنوي، أي أنه بمعنى نور البصيرة مما يحمل معنى الهدى والعلم والطاعة والإيمان والسعادة وانشراح الصدر وهوالأجدر بالأهمية والتأمل.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله، واهتمام المفسرين بذلك، كما أظهرت هذه الدراسة شيئاً مما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية لا تنفد ولا تنحصر، فمن تدبر كتاب الله العظيم، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وختامًا أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١١٦) جامع البيان(١٣/ ٨٩).

فهرس المصادر والمراجع

١-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود بن محمد العمادي، ت عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٢-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣-البحر المحيط، أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤-البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦-التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.

٧-التعريفات، للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٨-تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٩-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث، لبنان.

١٠-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان ط٢ ١٤٢٤هـ.

١١-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ.

١٢-روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الشهاب محمود بن عبدالله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٣-سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢ ١٤٠٦هـ

١٤-شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

١٦-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.

١٧-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت محمد فؤاد عبدالباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٤٠٠هـ.

١٨-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة المعارف، الرياض.

١٨-القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١٩-كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٠-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢١-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٢-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، اختصار: محمد ابن الموصلي، دار الفكر.
٢٣-مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط٢ ١٣٩٤ هـ.
٢٤-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٢٥-معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٢٦-معجم المفسرين، عادل نويهض، م نويهض الثقافية، لبنان، ١٤٠٩هـ.
٢٧-معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، ت نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٢٨-معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
٢٩-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ت سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
٣٠-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
٣١-الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم، ت إسماعيل الأنصاري نشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض.